١٠ الكبر وآثاره السيئة

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون: حديثنا في هذه الجمعة المباركة إن شاء الله ، سيكون

عن الكبر وآثاره السيئة .

عباد الله الكبر آفة خطيرة وخصلة ذميمة قل من يسلم منها ففي صحيح مسلم [١] عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال النبي ﷺ : «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن ، الفخر في الأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة ، وقال:النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب** » .

و في مُسند أبي يعلى [٢] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ : « **ثلاث لا يزلن في أمتي حتى تقوم الساعة : النياحة ، والمفاخرة في الأنساب ، والأنواء**».

والناس يختلفون في الكبر فمنهم من يتكبر بجماله وثيابه ، ومنهم من يتكبر بوظيفته وماله ، ومنهم من يتكبر بعلمه ، ومنهم من يتكبر بسلطانه وجاهه ، ومنهم من يتكبر بعبادته وطاعته ، وأشدها الكبر بالعلم ، قال بعض السلف: طغيان العلم أعظم من طغيان المال.

والتكبر يدل على نقصان عقل صاحبه قال محمد بن الحسن بن علي -رَحِمَهُ اللَّهُ- : ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك ، قل أو كثر.

والكبر معناه في اللغة: العظمة والتجبر.

وفي الاصطلاح: بطر الحق ، وغمط الناس ، ومعنى بطر الحق أي رده ودفعه ، وغمط الناس أي: احتقارهم وازدراؤهم.

---

(١) مسلم برقم (٩٣٤) .

(٢) مُسند أبي يعلى برقم (٣٩١١) والجامع الصحيح للوادعي ج٢(٢٤٧) .

والكبر على أقسام ثلاثة:

١- كبر على الله - عَزَّوَجَلَّ - .

٢- كبر على رسول الله ﷺ.

٣- كبر على عباد الله.

فأما الكبر على الله - عَزَّوَجَلَّ - فهو أعظمها جرمًا وأشدها إثمًا ، ولهذا أمثلة كثيرة في القرآن، قال الله تعالى: عن فرعون أنه قال: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات :٢٤] .

وقال النمرود لإبراهيم عليه السلام ﴿ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة :٢٥٨] .

وقال كفار قريش لما قيل لهم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ [الفرقان :٦٠] .

وأما التكبر على الرسل فهو كقول فرعون ومن معه: ﴿ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾ [المؤمنون :٤٧] .

وقال تعالى مخبرًا عنه أنه قال: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الزخرف :٥١] .

وكان ابن الجوزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يقول : يفتخر فرعون مصر بنهر ما أجرأه ما أجرأه.[1]

كما قال الله - عَزَّوَجَلَّ - عن بني إسرائيل: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ

(١) السير ج٢١(٣٧٢) .

وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة :٧٨] .

وكقول كفار قريش: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾[الفرقان :٢١] .

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف :٣١] . وأما التكبر على الناس فهو احتقارهم ، وهو حرام كما سيأتي ذكر الأدلة على ذلك.

والكبر على درجات:

الدرجة الأولى: أن يكون الكبر مستقرًا في قلب الإنسان ، فهو يرى نفسه خيرًا من غيره ، إلا أنه يجتهد ويتواضع ، فهذا في قلبه شجرة الكبر مغروسة إلا أنه قد قطع أغصانها .

الثانية: أن يظهر ذلك بأفعاله من الترفع في المجالس والتقدم على الأقران ، والإنكار على من يقصر في حقه ، وربما صعر خده للناس.

الثالثة: أن يظهر الكبر بلسانه كالمفاخرة بالنسب وتزكية النفس قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : يقول الرجل للرجل أنا أكرم منك ، وليس أحد أكرم من أحد إلا بالتقوى ، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات :١٣] .

وقد وردت الأدلة الكثيرة من كتاب ربنا وسُنَّة نبينا محمد -عليه الصلاة والسلام- في ذم الكبر ونتائجه الوخيمة ، قال الله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟

بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴾[الأعراف :١٤٦] .

قال سفيان بن عُيينه: في قوله: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾قال: أنزع عنهم فهم القرآن ، وأصرفهم عن آياتي.(١)

وقال بعض العلماء : لا ينال العلم مستح ولا مستكبر.

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان :١٨] .

والمرح الاختيال والكبر وقد ثبت عند الإمام أحمد (٢) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**من تعظم في نفسه أو اختال في مشيته ، لقي الله وهو عليه غضبان** » .

وقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ دليل على أن الله -عَزَّوَجَلَّ- يبغض المتكبر المختال، فقد جاء عند الإمام الترمذي (٣) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أن رسول الله ﷺ قال : « **إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون ، والمتشدقون ، والمتفيهقون**» قالوا : يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون ؟ قال : «**المتكبرون**» .

وصدق الله رب العالمين القائل في كتابه الكريم: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل :٢٣] .

وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص :٨٣] .

---

(١) تفسير ابن كثير ج٢(٢٣٧) .
(٢) أحمد برقم (٥٩٩٥) .
(٣) صحيح الترمذي برقم (٢٠١٨) .

وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٖ ﴾ [غافر :٣٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر :٦٠] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴾ [الإسراء :٣٧] .

وقال تعالى عن موسى عليه السلام : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [غافر :٢٧] .

وثبت عند الإمام أحمد في مُسنده [١] عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: التقى عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص على المروة فتحدثا ، ثم مضى عبد الله بن عمرو وبقي عبد الله بن عمر يبكي ، فقال له رجل : ما يبكيك يا أبا عبدالرحمن ، قال : هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « **من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ، أكبه الله على وجهه في النار** ».

وفي صحيح مسلم [٢] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر** » ، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة ، **قال : إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس**» .

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالا : قال رسول الله ﷺ

(١) أحمد برقم (٧٠١٥) وصححه شيخنا الوادعي في الصحيح المُسند برقم (٨٠٠).
(٢) مسلم برقم (٩١) .

: « **قال الله : العز إزاره والكبرياء رداؤه ، فمن ينازعني عذبته** » . (١)

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: « **تحاجت الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة :فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وغرتهم ؟ ، قال الله للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي ، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ، ولكل واحدة منكما ملؤها ، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله -تبارك وتعالى- رجله ، تقول : قط قط فهنالك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض ، ولا يظلم الله من خلقه أحدًا ، وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقا** » . (٢)

وفي سُنن الترمذي(٣) عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ: «**يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران ، وأذنان تسمعان ، ولسان ينطق يقول : إني وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد ، وبكل من دعا مع الله إلها آخر ، وبالمصورين** » .

وفي صحيح مسلم(٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر » والعائل: هو الفقير .

قال بعض العلماء : التواضع في الخلق كلهم حسن ، وفي الأغنياء أحسن ، والتكبر في الخلق كلهم قبيح ، وفي الفقراء أقبح.

أقول ما سمعتم ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين ، من كل ذنب إنه هو الغفور الرجيم.

(١) مسلم برقم (٢٦٢٠) .
(٢) مسلم برقم (٢٨٤٦) .
(٣) صحيح الترمذي برقم (٢٥٧٤) .
(٤) مسلم (١٠٦) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله الكبير المتعال ، أحمده سبحانه ، له العزة الكاملة والجبروت والكبرياء والجلال ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسو ، له صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: لقد أخبرنا الله - جَلَّوَعَلَا - عن أحوال المتكبرين وأنها أحوال مخيفة ، وأن عذابهم شديد بداية من الموت فما بعده ، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾[الأنعام :٩٣] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف :٤٠] .

وهكذا أحوالهم يوم القيامة ، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ

وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سبأ :٣١-٣٣] .

وقال تعالى ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الزمر :٥٦-٦٠] .

وفي سُنن الترمذي [١] عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال : « **يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس، تعلوهم نار الأنيار ، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال** » ومعنى نار الأنيار: أي شدة النار .

وهكذا أحوالهم في نار جهنم، قال تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الزمر :٧١-٧٢] .

وفي الصحيحين [٢] عن حارثة بن وهب الخزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت النبي ﷺ يقول : « **ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف ، لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار ،كل عُتل جواظ مستكبر** » .

(١) صحيح الترمذي برقم (٢٤٩٢) .
(٢) البخاري برقم (٤٩١٨) ومسلم برقم (٢٨٥٣).

والعتل هو الجافي الشديد الخصومة .

والجواظ هو الجموع المنوع.

ولقد أهلك الله الأمم السابقة بسبب كبريائها واستكبارها عن الحق وتكذيبها للرسل ، قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [فصلت :١٥] .

وقال تعالى: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَـٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت :٣٨- ٤٠] .

وقال تعالى عن قوم صالح -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- : ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَـٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَـٰصَـٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الأعراف :٧٥- ٧٨] .

وقال تعالى عن نوح -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ

ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ﴾ [نوح :٥-٧] .

وقال تعالى عن قوم شعيب -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- : ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾ [الأعراف :٨٨] .

وقال تعالى عن فرعون وقومه ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [القصص :٣٩-٤٢] .

أيها المسلمون: إن الكبر ركن من أركان الكفر، قال العلامة ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- [1] : أركان الكفر أربعة: الكبر والحسد والغضب والشهوة ، فالكبر يمنعه الانقياد، والحسد يمنعه قبول النصيحة وبذلها، والغضب يمنعه العدل، والشهوة تمنعه التفرغ للعبادة.

فليحذر المسلم من أن يتصف بهذه الصفة المقيتة وليبحث عن العلاج الذي يكون سببًا في بعده عنها واتصافه بالتواضع .

ومن الأسباب المعينة على ذلك:

١- أن يعرف الإنسان قدر نفسه وأحواله التي مر عليها ، قال الله تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ ﴾ [الطارق :٥-٧] .

---

(١) فوائد الفوائد ص(٢٨٨) .

وقال تعالى: ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾ [عبس :١٧-٢٢] .

ولله در من قال:

لو فكر الناس فيما في بطونهم ... ما استشعر الكبر شبان ولا شيب

هل في ابن آدم مثل الرأس مكرمة ... وهو بخمس من الأقذار مضروب

أنف يسيل وأذن ريحها سهك ... والعين مرفضة والثغر ملعوب

يا ابن التراب ومأكول التراب غدًا ... أبصر فإنك مأكول ومشروب

قال الأحنف بن قيس: عجبت لمن جرى في مجرى البول مرتين، كيف يتكبر؟. (١)

٢- أن يعلم الإنسان أن كل نعمة عنده إنما هي من الله وحده، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ [النحل :٥٣] .

٣- مجالسة العارفين بالله قال العلامة ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- (٢):وقيل مجالسة العارف تدعوك من ست إلى ست من الشك إلى اليقين ومن الرياء إلى الإخلاص ومن الغفلة إلى الذكر ومن الرغبة في الدنيا إلى الرغبة في الآخرة ومن الكبر إلى التواضع ومن سوء الطوية إلى النصيحة.

٤- أن يتذكر أن هذه الصفة إنما هي صفة لله فالله -جل وعلى- هو

(١) أدب الدنيا والدين (٢٥٩) للماوردي.
(٢) المدارج ج٣(٣٧٨).

المتكبر وإذا تكبر الإنسان فقد نازع الله في هذه الصفة ، قال الله تعالى:« **العز إزاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبته** » . (١)

فعلى العبد أن يتواضع لله وينكسر بين يديه قال بعض العلماء : من وضع جبهته لله فقد برئ من الكبر.

ومن تواضع لله رفعه

وإن أفادك إنسان بفائدة من العلوم فلازم شكره أبدًا

وقل فلان جزاه الله صالحة أفا دنيها ودعك الكبر والحسدا

والحمد لله رب العالمين

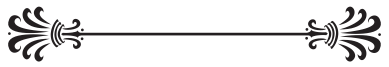

(١) مسلم برقم (٢٦٢٠).